

الاستيعاب

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي يرحى أم أتى دونه الأجل .
فواي ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل .
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل .
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل .
وإن هبت الأرواح هيحن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه ويا وجل .
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل .
حياتي أو تأتي علي منيتي ... وكل امرء فان وإن غره الأجل .
سأوصي به عمرا وقيسا كليهما ... وأوصى يزيد ثم من بعده جبل .
يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويعني يزيد أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب
بن شراحيل . فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أبلغوا عني أهلي هذه
الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي فقال : الطويل .
أحن إلى قومي وإن كنت نائيا ... فإني قعيد البيت عند المشاعر .
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر .
فإني بحمد الله في خير أسرة ... كرام معد كابر بعد كابر .
فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال : ابني ورب الكعبة ووصفوا له موضعه وعند من هو .
فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه وقدا مكة فسألا عن النبي A ف قيل : هو في المسجد
فدخل عليه فقال : يا بن عبد المطلب يا بن هاشم يا بن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه
تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه .
قال : " ومن هو " قالوا : زيد بن حارثة . فقال رسول الله A : " فهلا غير ذلك " ! .
قالوا : وما هو قال : " أدعوه فأخبره فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فواي ما أنا
بالذي أختار على من اختارني أحدا " . قالا : قد زدتنا على النصف وأحسن فدعاه فقال : " هل تعرف هؤلاء " قال : نعم . قال : من هذا قال : هذا أبي . وهذا عمي . قال : " فأنا من
قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما " . قال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك
أحدا أنت مني مكان الأب والعم . فقالا : ويحك يا زيد ! .
أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك ! .
قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا . ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا . فلما رأى
رسول الله A ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : " يا من حضر . اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه

" . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا . ودعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام فنزلت : " ادعوهم لآبائهم " . فدعي يومئذ زيد بن حارثة ودعى الأدياء إلى آبائهم فدعي المقداد بن عمرو وكان يقال له قبل ذلك المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبناه .

وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال : ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة . قال عبد الرزاق : وما أعلم أحدا ذكره غير الزهري .

قال أبو عمر : قد روي عن الزهري من وجوه أن أول من أسلم خديجة وشهد زيد بن حارثة بدرا وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة بن زيد وبه كان يكنى وكان يقال لزيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ روى عنه A أنه قال : " أحب الناس إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه " . - يعني زيد بن حارثة - أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق .

وقتل زيد بن حارثة بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة وهو كان كالأمير على تلك الغزوة وقال رسول الله ﷺ : " فإن قتل زيد فجعفر فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة " فقتلوا ثلاثتهم في تلك الغزوة . لما أتى رسول الله ﷺ نعي جعفر بن أبي طالب وزيد ابن حارثة بكى وقال : أخوأي ومؤنساي ومحدثاي